ابناء المسلمين وبناتهم والجمعية الخيرية الانجيلية التي انشأت مدرسة للصبيان في الحي الشرقي. وقد صدر امر الباب العالي في اواخر سنة ١٨٨٣ بامتثال جمعية المقاصد الخيرية بمجلس معارف. والامل ان يكون لهذا المجلس مستقبل سعيد في سورية. وسنة ١٨٨١ انشئ دائرة علمية في مدرسة الحكمة تنشر فوائدها في جريدة المصباح البهية. واما الجمعيتان العلميتان في المدرسة الكلية فقد مرَّ ذكرهما ولا ننكر فضل الجمعيات الكاثوليكية التي انشئت في بيروت ولذلك نذكر مثالاً لها جمعية سان منصور ديبول: انشئت هذه الجمعية المفيدة في بيروت سنة ١٨٦٠ ووزّعت سنة انشائها مئتي الف غرش على المحتاجين واعضاؤها نحو الثمانين واوّل فضل صنعته بعد اعالة المحتاجين انها فتحت مدرستين الواحدة للفقراء تعلّم فيها الاولاد القراءة والحساب ثم تهتم بتعليمهم الصنائع وقد بلغ عدد تلامذتها نحو مئتي تلميذ وهي تهيّئ لهم ما يلزمهم من الكتب والورق وبقية ادوات التعليم مجانًا والمدرسة الثانية في راس بيروت تحتوي نحو ٤٠ تلميذًا وتعلّم العربية والفرنساوية ولجمعية مكتبة جميلة. ولهذه الجمعية الاصلية فضل ببثها المدارس فلها تحت عناية الآباء واخوات المحبة في دمشق وجوار بيروت من القرى اللبنانية عدة مدارس منها في لبنان ١٣ مدرسة تحتوي نحو ٩٠٠ تلميذة وفي عين طورة مدرسة شهيرة للصبيان تحتوي ٢٧١ طالبًا عليهم اكثر من عشرة معلمين وفي بيروت عدة مدارس كما مرَّ في جدول مدارس بيروت (ستاتي البقية)

تمدُّن القدماء

لجناب اسكندر افندي شاهين

اوّل امة اشتهرت بتمدنها هي الامة المصرية الاّ ان الآراء متباينة في تعيين وقت ابتدائه فيها فبعضهم يقول انه ابتدأ فيها قبل المسيح بخمسة آلاف سنة وبعضهم قبل ذلك او بعده باكثر من الفين وثلاثماية سنة. ويتفق الجميع في ان اوّل من نظّم مملكةً مصريةً هو "مينيس" ولكنهم يختلفون كل الاختلاف في وقت استلامه زمام الاحكام لاسباب اوّلها تقاعد المصريين عن كتابة التاريخ في نفوسهم وآثارهم الاّ في القليل منها وثانيها عدم تحقق كتابات مانيثو الكاهن المصري الذي جمع تاريخه المشهور من الآثار والنقوش المحفوظة في الهياكل في ايام بطليموس فيلادلفوس. وضاع هذا المؤلَّف الثمين وبقيت اشياء كثيرة في كتابات القدماء منقولة عنه فبعضهم يروي التاريخ عنه شكلاً وبعضهم شكلاً آخر وهذا مما يزيد الصعوبة في هذا الشان

وفي شرائع المصريين القدماء ما يدلُّ على سموّ عقلهم. وكانت عوائدهم تشبه عوائد الهنود

في اشياء كثيرة ومن ذلك يرجح انهم هاجروا الى مصر من بلاد الهند . وكان للكهنة عندهم المقام الاوّل ثم لرجال الحرب فالفلاّحين فالتجار والنوتية فالصنّاع . واشتهروا بحب الفلاحة واتقان الزراعة وبمهارتهم في الحرب وتنظيم جيوشهم وترتيب وقائعهم واصطناع المركبات الحربية والسهام والسيوف . وفاقوا غيرهم في كثير من الصنائع والعلوم كالطب ونسج الاقمشة الرقيقة وتلوينها وتطريز الثياب وتزيينها بالحلى الفضية والذهبية والحجارة الكريمة على انواعها . وكان لهم الباع الاطول في استخراج المعادن وتنقيتها ومزجها وعمل الادوات منها وفي آثارهم من الادوات المعدنية والخشبية والآلات الكثيرة والاسرّة العديدة وغيرها ما يشهد ببراعتهم وتقدمهم في معارج التمدن والفلاح منذ عهد قديم لا يقلّ عن ٣٥٠٠ سنة . ولم تخرج عندهم التجارة بسبب خصب اراضيهم وقوّة كهنتهم وشرائعهم التي لم تبح لهم الانتقال من حرفة الى أخرى ولا مخالطة الاجانب ومعاملتهم . ولم يصطنعوا السفن ويخوضوا بها البحار الاّ بعد استيلائهم على فينيقية

اما تمدن بابل فيعدّ بعد تمدن مصر وقدماً ورتبةً واكثرهم يؤرخونه من ٤٠٠٠ الى ٣٠٠٠ ق . م . ويستدلّ على قدمه من كتابات كثيرة في آثار الاشوريين : منها ان ملكاً عيلامياً هاجم بابل واخضعها ودمّر مدنها وخرب حصونها وخلع حاكمها قبل ايام اشور بانيبال بالف وثلاثمائة سنة اي نحو سنة ٢٢٨٦ ق . م . وان احد ملوك الدولة العربية أجرى فيها بعض الاصلاحات بتوسيع ترعها وتمهيد طرقها وبناء صروح ومعابد فيها سنة ٢٤٥٠ ق . م . ولم تتقدّم بابل في التمدن اولاً تقدماً يُذكر فكانت ابنيتها واسعة مبنيّة من القرميد عديمة الترتيب واكثرها من البرونز او الحجر اذ لم يُعرف فيها الحديد . ولكن برع اهلها بعد ذلك قليلاً في عمل الاواني الفخارية وتلوينها ونسج بعض الاقمشة القطنيّة والصوفيّة وعمل الطنافس . وكانوا يكتبون من عهد قديم بقلم يشبه القلم الهيروغليفي . وتقدّموا يسيراً في رسم الاشكال على الحجارة الكريمة واشتهروا في ترتيب لباسهم واتقان موائدهم واثاث بيوتهم . وبرعوا في علم الفلك فكانوا يرصدون الكواكب ويراقبون اوقات الكسوف والخسوف ومواقع الثوابت واستنبطوا آلات فلكيّة لمعرفة الوقت ومواقع البلدان واشتهروا بتجارتهم فصارت بابل تدعى "مدينة التجار" . وفاقوا غيرهم بظلمهم وجورهم على الاسرى والعبيد وباحتقار النساء وسوء معاملتهنّ

ومن اقدم الممالك التي اشتهرت بتمدنها فينيقية ويظن البعض انها منبع التمدن والعمران واصل تقدم القدماء وهي من اشهر الممالك القديمة واعظمهنّ واطولهنّ باعاً في سلك الابحر والتجارة والصناعة . والفينيقيون اوّل من انشأ سفناً كبيرة وخاض بها البحار وسار الى اكثر انحاء العالم . فانهم مدّوا تجارتهم على شطوط البحر المتوسط كلها وتجاوزوه الى بحر بلطيك فذهبوا الى اسبانيا يطلبون الذهب والى غاليا وبريطانيا وجزائر سيلي لجلب القصدير ونزلوا على شطوط افريقية الغربيّة ودخلوها بقوافلهم فاتوا

منها بالعبيد والفرود والافيال وذهبوا الى نواحي ارمينيا وصقلية وتعالي البحر الاسود فاتوا منها بالحمير والجلود والبغال والى بلاد العرب فاتوا بالتبر والاقاويه والى بلاد الهند وسيلان يطلبون الجواهر ويتجرون بالبضائع الكثيرة ولم تكن امة وقتئذٍ لبضائع فينيقية في الاقدام وحب التجارة فلُقِّبت بملكة البحار وبعثت اساطيلها الى شاسع الاقطار وسادت وعظمت الى ان خانها الزمان واحنت عليها الايام فنقدت عزّها ومجدها ولم تزل خاملة الذكر عديمة السطوة حتى الآن. وكان اكثر بضائع التجّار الفينيقيين منقولاً ولكن بعضها كان فينيقيًّا كالصباغ الارجواني الشهير. والفينيقيون هم الذين اكتشفوا صناعة الزجاج وتنقيته وتلوينه بالاكاسيد المعدنية وكانوا يصطنعون منهُ ادوات كثيرة يبدلونها بغيرها من لوازمهم. واشتهروا بنسج الاقمشة وتفصيلها وتطريزها وصبغها بالارجوان فراجت بضاعتهم واشتهرت صناعتهم وامتدت صولتهم وعظمت ثروتهم فكانت اقمشتهم واثوابهم تباع في اماكن كثيرة باثمان عالية. ولم تقتصر شهرتهم على ذلك بل فاقوا غيرهم في قطع الحجارة الكريمة وتزيينها وتشكيلها وصناعة حفر المعادن وتركيبها والبناء الجميل والنقش والحفر والموسيقى. ويرجَّح انهم استنبطوا الحروف الهجائية وسواء ثبت ذلك او لم يثبت ففي آثار الفينيقيين واعمالهم ما يدلُّ على قوّة عقلهم وعظم اجتهادهم ويعطيهم قصب السبق في ميدان التقدم بين القدماء. وابتدأ التمدُّن الفينيقي قبل المسيح بالف وخمسماية سنة او اكثر بقليل

اما ممالك اسيا الصغرى فاشهرها فريجيا وليديا وليقيا واشهر اهالي هذه الممالك الثلاث بأسهم واقدامهم ورغبتهم في اتقان الفنون الحربية والموسيقية وبراعتهم في تركيب المعادن وصقلها وقطع الحجارة الكريمة وعلوّ همتهم ومضاء عزيمتهم وحبهم للوطن وميلهم للتقدُّم والاختراع وباعتبارهم للنساء اللواتي كنَّ اعلى رتبة من الرجال في ليقيا فانهنَّ كنَّ يحضرنَ الاعياد والولائم والالعاب مع رجالهنَّ مكشوفات الرأس وكانت الرجال تدعى باسم عيال نسائها وترث وظائفها والقابها منهنَّ وكانوا يحبون مخالطة الاجانب. وامتازت ليديا بغناها الوافر وتجارتها وسطوتها العظيمة قبل ان اخضعها كورش الفارسي. وتقدَّمت ليقيا في صناعتي الحفر والتصوير حتى فاقت اليونان في ايام زهوتها. وقلما يُعرَف عن هذه الممالك شيء قبل القرن التاسع قبل المسيح ومن ثمَّ صارت تنمو وتتقدم الى ان افل نجم سعدها حين سطا عليها كورش فاخضعها كلها وظلَّت ملوك الفرس تحكمها الى ايام الاسكندر. وقد غفل عن هذه الممالك مؤرخو القدماء مع انها تقدَّمت تقدماً يذكر ويقال ان اثينا اخذت عنها اشياء كثيرة قبل عصر بريكليس

امَّا تمدُّن اشور فاقدم عهدًا واعظم شهرةً من تمدُّن اسيا الصغرى وابتدأ سنة ٢٢٠٠ ق.م حين اخضع تغلثُ نيني بابل وتملك على ما يجاورها وتقدَّم الاشوريون تقدماً يذكر في الصنائع القديمة اخصها

البناء وصناعة المعادن والنقش والحفر. وكانت قصورهم شاهقة البناء محكمة الاتقان واسعة الاطراف سميكة الجدران مزخرفة بالفضة والذهب مزينة بالحلي والطنافس. وآثارهم غريبة الصنع جميلة الوضع مدققة التركيب يتباهى بتمثيلها مهرة صناع القرن التاسع عشر. وكانت صناعتهم في بادئ الامر غريبة لا تنطبق على الاشكال الطبيعية المقصود تمثيلها ولكنها في غاية ما يكون من الجمال. ثم قلّ جمالها في آخر المدة الاشورية ولكنها قربت الى المناظر الطبيعية اكثر مما كانت اولاً. وكان لهم شهرة ايضاً في عمل الاواني الفخارية كالكؤوس والاباريق والسرج وفي الترصيع بالعاج واللؤلؤ وفي تلوين الزجاج والقرميد وتطريز الثياب وتزيينها. وجل ما يقال عنهم انهم تقدموا تقدماً عظيماً في الماديات ولو سمحت لهم الايام لوصلت يدهم الى ما لم نصل اليه في تلك الاعصار القديمة. ولكنهم لم يبرعوا في العلم والفلسفة وغيرهما من العقليات بل كانوا قساة القلوب غلاظ العقول يسيئون معاملة الاسرى والعبيد ويحتقرون النساء وكانت عوائدهم دنسة وحشية ودياناتهم فاحشة دنية

اما تمدن ايران (اي مادي وفارس وبكتريا) ففيه اختلاف عظيم بين العلماء ومن المعلوم انه كان للايرانيين مدن ومعابد وانهم عرفوا طرق الفلاحة والزراعة وربوا بعض الحيوانات الداجنة قبل سنة ١٥٠٠ ق م. وكان بينهم كهنة وشعراء وقضاة في تلك المدة ثم صاروا يتقدمون شيئاً فشيئاً الى ان عظمت شوكتهم وتقدمت صناعتهم في منتصف القرن التاسع قبل المسيح حين اخذوا اكثر معارفهم عن الاشوريين. ثم سادت مادي مدة على غيرها من الممالك وانتشت صناعتها وتبعتها بلاد الفرس فبرعت في البناء وتزيين القصور وغيرها من الصنائع الاشورية. وكانت عوائدهم تقرب من عوائد الاشوريين في الظلم والعسف والجور واحتقار النساء. وامتازوا بالخبث والخيانة وحب البذخ والرفاهة

اما تمدن الهنود القدماء فيشبه تمدن ايران. ويرجح انه ابتدأ في القرن الثالث عشر ق م. وكانت كتابتهم في الاول بسيطة ومدنهم قليلة وحكومتهم غير منتظمة وحروبهم كثيرة عديمة الشهرة. وتقدموا في الشعر مدة والظاهر من قصائدهم انهم اصطنعوا سفناً ومركبات حربية وربوا الغنم والبقر وشاع استعمال الاسلحة الذهبية عندهم وكثرت الالعاب العقلية بينهم. وتقدموا بتقدم الايام فبنوا مدناً عديدة وشادوا قصوراً باذخة ونظموا اشعاراً بديعة واتسع نطاق تجارتهم واستنبطوا الكتابة او نقلوها عن غيرهم من عهد قديم وكان اكثر تقدمهم في العقليات فجاءوا بما لم يجئ به غيرهم من القدماء ولهم فيها مؤلفات نفيسة وبرعوا في النحو والمنطق والفلسفة العقلية والفقه والالهيات واهملوا غيرها

والامم الشرقية التي تقدمت في القديم كثيرة ولم اذكرها كلها استغناء بذكر المشهورة منها فقط اما الامم الغربية فكثيرة ايضاً ولكن المقام لا يقتضي ذكرها الآن